أثر العوامل الشخصية في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا

(دراسة حول سياسة الرئيسين شيراك وساركوزي)

د. صلاح مصلح أبو ختلة
جامعة القدس المفتوحة – فرع رفح.

المنارة للاستشارات
ww

مقدمة:

تثير السياسات الخارجية للأنظمة السياسية جدلاً واسعاً وكبيراً بين أوساط المهتمين والمحللين في الشأن السياسي، فما يجري على الساحة الدولية هو في الواقع نتاج لسلوك السياسة الخارجية للنظام السياسي للدولة، أو مجموعة الأنظمة الدولية، كما أن تعدد الاتجاهات والرؤى السياسية والتفسيرات يعزى لمتغيرات متعددة بعضها متصل بالبيئة الداخلية للدولة كمحدد لذلك السلوك، والبعض الآخر مرتبط بالبيئة الخارجية للنسق الدولي وطبيعة التحالفات والتجاذبات ما بين الفاعلين في هذا النسق.

وفي إطار هذه الاعتبارات تأتي هذه الدراسة لتتناول السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا، في عهد كل من الرئيسين جاك شيراك ونيكولا ساركوزي والتي اتسمت بتباين واضح ما بين التقارب الواضح والاختلاف الشديد، وقد برزت خصائص ذاتية وشخصية للرئيس الفرنسي تعبر عن سياسته الخارجية، من حيث صياغتها والأسس والقواعد التي ترتكز عليها، الأمر الذي أضفى على تلك السياسة النزعة الشخصية للرئيس وتأثره بعلاقاته مع أطراف أخرى مثل رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في حالة شيراك ، وزياد تقي الدين وكلود دغان في حالة ساركوزي.

وعليه فإن الدراسة الحالية تهدف إلى فحص تأثير رئيس الجمهورية على السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا، والكشف على تأثير متغير القيادة على صناعة السياسة الخارجية، أحد الدول الكبرى الديمقراطية الفاعلة والمؤثرة في الساحة الدولية، في سياستها تجاه سوريا فترة رئاستي كل من جاك شيراك ونيكولا ساركوزي، والتي أحدثت جدلاً كبيراً في ظل تغيرات السياسات على الرغم من أن كلاهما ينتمي إلى نفس الحزب، ومحاولة تأصيل وإثبات أثر المتغير القيادي في السياسة الخارجية تبعاً لطبيعة النظام السياسي وليس التصنيف الديمقراطي وغير الديمقراطي، كما درجت على ذلك بعض الأدبيات الغربية في تفسير السياسة الخارجية الدولية، والتي ركزت على أن المساحة المتاحة في النظم الديمقراطية ضيقة مقارنة بالنظم التسلطية التي تكاد تكون سلطة القائد السياسي فيها مطلقة داخلياً وخارجياً مما يمنحه مساحة واسعة من التأثير المباشر في السياسة الخارجية.

المنارة للاستشارات
ww

وعلى ضوء ذلك جاءت الدراسة لتتحقق من الفرضيات التالية:

1- يختلف أثر العامل القيادي في صناعة السياسة الخارجية حسب طبيعة النظام السياسي.
2- يلعب المتغير القيادي والنزعة الشخصية للرئيس أهمية بالغة في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا.

و تشتمل الدراسة الحالية على عرض للإطار النظري الذي يوضح منهجية الدراسة وطبيعة النظام السياسي الفرنسي، والملامح الشخصية وطبيعة النشأة لكل من الرئيسين جاك شيراك ونيكولا ساركوزي، وملامح السياسة الخارجية تجاه سوريا إبان فترة حكمهما.

الجزء الأول: الإطار النظري للدراسة

القيادة السياسية هي "قدرة وفاعلية وبراعة القائد السياسي - بمعاونة النخبة السياسية - في تحديد أهداف المجتمع السياسي وترتيبها تصاعديا حسب أولوياتها، واختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف بما يتفق مع القدرات الحقيقة للمجتمع، وتقدير أبعاد المواقف التي تواجه المجتمع واتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة المشكلات والأزمات التي تفرزها هذه المواقف، ويتم ذلك كله في إطار تفاعل تحكمه القيم والمبادئ العليا للمجتمع"[1].

استندت الدراسة في مقاربتها المنهجية لإثبات فرضياتها على اقتراب التحليل الجزئي، الذي يؤكد على أهمية الدور الذي يلعبه القائد السياسي في توجيه السياسة الخارجية، حيث يركز على طموحات وأهداف القائد السياسي، ذلك لأن عملية صنع السياسة الخارجية تتأثر بالخصائص الشخصية والخلفية الاجتماعية للقائد السياسي والخبرة التي يتمتع بها، ويؤكد المقترب الجزئي على أن التغير في أنماط القيادات السياسية ينتج عنه تغير في الاتجاهات الخارجية للدولة، وهو ما يعكس ويفسر حالة التغير في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا. وهو عكس **اقتراب التحليل الكلي** الذي يقلل من أهمية الدور الذي يمكن أن يعلبه القائد السياسي في السياسة الخارجية، استناداً إلى أن السياسة الخارجية مرتبطة بشكل مباشر بالمصالح القومية، وبالتالي فإن الإطار العام للمصالح القومية محدد سلفاً، ولا يمكن للقائد السياسي تجاوزه أو الخروج عنه، مما يعيق من درجة تأثير القائد السياسي[2].

كذلك استندت الدراسة على **نظرية دور القائد السياسي**، والتي تقدم إطاراً يمكن من خلاله فهم طبيعة تأثير القائد على السياسة الخارجية بناءً على اعتقاداته وتوجهاته، وأيضاً التغيرات التي قد

المنارة للاستشارات
ww

تطرأ على السياسة الخارجية نتيجة تغير القائد السياسي، حيث تستند النظرية إلى مجموعة من العوامل تشكل في مجملها الإطار العام الذي يحدد مدى قوة تأثير القائد السياسي في صنع السياسة الخارجية، وهذه العوامل تتمثل في النقاط التالية[3]:

1. **مدى اهتمام القائد السياسي بالسياسة الخارجية**: وتعتمد بالدرجة الأولى على مدى الاهتمام الذي يوليه القائد للسياسة الخارجية، فكلما كان اهتمامه أكبر فإن تأثيره يكون كبيراً في صياغة السياسة الخارجية والعكس صحيح، فالقائد السياسي يهتم بالسياسة الخارجية إما لكونه يعتبرها أداة لتأكيد شعبيته، أو لتحقيق الأهداف الأساسية للدولة.

2. **آلية وصول القائد السياسي للسلطة:** وذلك يعتمد بشكل أساسي على أسلوب وصول القائد للسلطة السياسية، فإذا كان وصوله عن طريق انقلاب عسكري أو ثورة أو نصر انتخابي كبير كلما عظم ذلك من مكانته وزاد من قدرته في التأثير على توجهات السياسة الخارجية، بينما لو كان نصره الانتخابي بفارق بسيط عن منافسيه كلما حجَمَ ذلك من دوره وفرض عليه قيوداً أكبر.

3. **كاريزمية القائد السياسي:** تمثل كاريزمية القائد أحد أهم العناصر الأساسية التي يستمد منها قوته وشرعيته، لما لها من دور كبير في التأثير على مجمل أفراد المجتمع، وفي تعظيم قدراته على صياغة وتوجيه السياسة الخارجية، فهي تمنحه شرعية مطلقة في اتخاذ كافة القرارات الخارجية، ويمكننا التدليل على بعض الزعماء التي ساهمت الكاريزمية في أن يصنعوا القرار السياسي الخارجي كهتلر رئيس ألمانيا، وموسيليني رئيس إيطاليا، وجمال عبدالناصر رئيس مصر ويمكن التدليل بمثال لعبدالناصر في تأميمه لقناة السويس قناة مساهمة عربية مصرية عام 1956 م .

هذه الكاريزمية تمنح القائد الثقة العامة في اتخاذ القرارات في الأزمات الخارجية، فالأزمة السياسية" موقف سياسي مفاجئ غير متوقع يشكل بالنسبة للقائد السياسي تهديداً أساسياً للأهداف القومية، مع وجود فترة زمنية محدودة لاتخاذ القرار، ومن شأن موقف الأزمة أن يؤدي إلى تعظيم دور القائد لعدة أسباب أهمها:[4]

1. أن الأزمة موقفاً يتطلب قراراً سريعاً ينبغي اتخاذه، فالأزمة لا تتيح الوقت الكافي للتشاور مع كافة المؤسسات السياسية، بل أحياناً نجد المؤسسات نفسها مدفوعة إلى تفويض السلطة الكاملة والنهائية للقائد.

2. أن فترة الأزمة باعتبارها تتضمن تهديداً للأهداف القومية ولمستقبل القائد نفسه، تولد نوعاً من الضغط النفسي على القائد كي يتخذ القرار بسرعة وحزم في مواجهة الأزمة اعتماداً على

المنارة للاستشارات
ww

مفاهيمه ومدركاته الذاتية بالأساس، حيث لا يسمح له الوقت لانتهاج المسلك العقلاني في اتخاذ القرار.

3. إن القرارات المتخذة أثناء الأزمات تعكس إلى حد كبير شخصية القائد السياسي، بعكس القرارات المتخذة في المواقف العادية غير المتأزمة والتي تمارس فيها المؤسسات السياسية دوراً أكبر أو يلعب الحساب العقلاني فيها دوراً واضحاً.

4. **طبيعة النظام السياسي وصلاحيات القائد:** تساهم طبيعة النظام السياسي في تحديد دور وفعالية القائد في صنع السياسة الخارجية، فباختلاف الأنظمة تتفاوت قدرات القائد في صنع القرار.

5. **الخبرة بالشئون الخارجية:** إن اهتمام القائد السياسي بالشئون الخارجية وتمرسه يلعب دوراً كبيراً في التأثير في مجال السياسة، فكلما زاول سابقاً القائد السياسي عملاً في السياسة الخارجية كلما زادت قدرته في التأثير على السياسة الخارجية لدولته، ويستطيع تقدير مدى حجم تأثير القرارات التي يتخذها وانعكاساتها على دولته لتعلقها بالنسق الدولي أو البيئة الدولية، وكلما انخفضت نسبة مزاولته كلما انخفض تأثيره في السياسة الخارجية.

6. **مرونة القائد السياسي:** إن مرونة القائد السياسي تكمن أهميتها في كونها تكشف مدى تقبل القائد السياسي لتغيير في مواقفه في السياسة الخارجية التي يتخذها وفقاً لفكره ومعتقداته، فكلما اتسم بالمرونة كلما قل تأثيره المباشر على السياسة الخارجية، والعكس صحيح.

ثالثاً: البيئة النفسية للقائد السياسي

أصبحت البيئة النفسية للقائد السياسي أحد أهم مداخل الاتجاهات الحديثة للعلوم السياسية في دراسة وتحليل النظم السياسية وعملية صنع القرار السياسي داخلها، والتي تركز في مضمونها على "الخصائص النفسية والسلوكية للقائد السياسي في تفاعله مع النخبة السياسية والجماهير والموقف والقيم. وهي تصنيفات تعكس إلى حد كبير أثر المنهجية السلوكية في التحليل السياسي بوجه عام"، وقد قسمت البيئة النفسية في دراسة وتحليل القائد السياسي إلى تقسيم ثلاثي يتكون من[5]:

- **التصورات**: وهي "الانطباع الأولي العام للفرد (للقائد السياسي) عن موضوع معين دون تعمق في تحليل ماهية الموضوع"، أي أنها تمثل الصورة الأولية للموقف التي ترسم في عقلية القائد السياسي دون الخوض في تفاصيل الحالة وحيثياتها، والتي من شأنها بشكل أو بأخر أن تؤثر على سلوك وتوجهات القائد تجاه الحالة وتنعكس على طبيعة توجهاته وقراراته في السياسة الخارجية، هذه الانطباعات التي يتطورها الفرد عن البيئة العملية محكومة بعدة مؤثرات تمثلت في الثقافة السياسية والميراث التاريخي لصانع القرار،

المنارة للاستشارات
ww

والمزايا الشخصية له، وخبراته الاجتماعية، وهو يوضح ذلك بقوله أن من يصنعون القرارات التي تحدد سياسات وسلوكيات الأمم لا يتصرفون بناء على الحقائق الموضوعية للموقف، بصرف النظر عما يعنيه ذلك، ولكن بناء على تصوراتهم للمواقف ذاتها.

- **الإدراكات**: والتي هي "تعبير عن وعي الفرد بالقضايا الموضوعية المرتبطة بموقف معين، والتي تتشكل نتيجة التغذية المستمرة حول حيثيات الموقف وتطوراته المستمرة.
- **العقائد**: وهي حكم احتمالي ذاتي نص عليه صراحة أو ضمنا في شكل تأكيد أو مقولة، فالعقائد تكون في شكل مقولة صريحة أو ضمنية، وهي ذات طابع احتمالي توجه الفرد نحو سلوك معين، ومن خلال العملية العقيدية يطور الفرد مجموعة من العقائد عن طبيعة البيئة وأساليب التعامل مع تناقضاتها، ترتبط ببعضها بروابط أفقية ورأسية متعددة تشكل في مجملها نسقاً عقائدياً.

رابعاً: النظام السياسي الفرنسي

عبر مراحل متعددة متعاقبة اتسم النظام السياسي الفرنسي بغياب عنصر الاستمرارية والثبات رافقته تحولات مستمرة في طبيعة المؤسسات وعلاقاتها المتداخلة ووظائفها المناطة بها في سياق تطوره التاريخي السياسي تراوحت من مؤسسات ملكية إلى مؤسسات جمهورية، شابه العديد من الثورات والانقلابات ما بين المراحل المختلفة والتي كان أبرزها ثورة عام 1789 م وعام 1830 م وثورة عام 1848م، تعاقبت عليها خمس جمهوريات وصولاً إلى الجمهورية الخامسة التي استقر بها نظام الحكم وثبت.

لقد اتسم وضع المؤسسات الدستورية بسيطرة البرلمان على السلطة التنفيذية خصوصاً في ظل الجمهوريتين الثالثة والرابعة، بينما شهد منصب الرئيس في ظل الدستورين 1875م و1947م محدودية تأثيره في صنع سياسة الدولة وتوجيهها، فعرفت فرنسا حالة عدم استقرار وزاري وشهدت 100 أزمة حكومية، ومع ظروف الحرب العالمية الأولى والثانية والأزمة الاقتصادية عام 1929 م أجبرت البرلمانيين التنازل عن جزء هام من سلطاتهم لصالح السلطة التنفيذية، إلا أن تصاعد مركز رئيس الدولة في فرنسا بدأت ضمن الإطار العام للتوجهات الفكرية التي تحكم دستور عام 1958م. فقد عمل شارل ديغول على جعل السلطة التنفيذية أقوى من السلطة التشريعية حتى في مجال السياسة الخارجية لتحقيق المصلحة الوطنية.[6]

فمنذ عام 1958 م الذي انطلقت فيه الجمهورية الخامسة والتي أرسى أسسها الجينرال ديجول، بتأسيسه نظاماً رئاسياً ديمقراطياً قادراً على الصمود في وجه العواصف التى عرفتها البلاد من قبل

المنارة للاستشارات
ww

والتي لم يفلح نظام الجمهورية البرلمانية في صدها، فقد تحمل شارل ديغول مسؤولية مواجهة التفكك السياسي دون المساس بركائز الديمقراطية، يتجاوز من خلاله هيمنة البرلمان المفكك وما ينتجه من حكومة هشة دون أن يذهب الى حد خلق نظام خاضع تماما لهيمنة الرئيس كما هو حاصل في بعض الانظمة الرئاسية، ولذلك اصطلح على هذا النظام الجديد بالنظام شبه الرئاسي او شبه البرلماني وكلاهما يعبر عن حقيقة انه نظام وسط بين الرئاسي والبرلماني حيث يتم انتخاب رئيس الجمهورية مباشرة من الشعب وليس من قبل هيئة ناخبة كما كان من قبل، مما يمنحه تخويلاً ديمقراطياً يعزز من سلطته كرمز لدولة.[7]

لقد أثرت تطورات الثورة الجزائرية والعدوان الثلاثي على مصر في العام 1956 م والهزيمة في فيتنام على الوضع السياسي في فرنسا فسقطت حكومة "جي موليه" وسقطت معها الجمهورية الفرنسية الرابعة، أُقر على أثرها دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة بالاستفتاء في الرابع من شهر أكتوبر 1958م، الذي شكل بداية حقبة التغيرات في التاريخ السياسي للنظام الفرنسي، فقد حول الدستور النظام من برلماني إلى شبه رئاسي ديمقراطي، أقر انتخاب الرئيس بطريقة مباشره لا من قبل هيئة ناخبة منتخبة، مما أضفى لمكانة الرئيس الحالة العملية الشرعية والإرادة الوطنية. فالمكانة التي حظي بها رئيس الجمهورية مُنحت من قانونية المكانة في الدستور الفرنسي التي تخلق سلطة كبيرة من منصب الرئيس أولاً، ومن الصفات الشخصية لشارل ديجول مؤسسة الجمهورية الخامسة الذي نجح في إعادة صياغة المؤسسات السياسية الفرنسية وأصبغ منصب الرئيس بسمات القوة والديناميكية وألحق به اختصاصات الشؤون الخارجية والدفاعية، وخلق قيادة قوية أعطت ثقل لفرنسا في الساحة الدولية، وقد تبعه من بعده كل الرؤساء بنفس الخطوات والنهج. إلى جانب أن ديجول بحد ذاته شكل حالة استثنائية شرعية شعبية تجاوزت الشرعية الديمقراطية التي تحظى بها الجمعية الوطنية لدوره في الحرب العالمية الثانية وعلاجه للقضية الجزائرية كزعيم ثوري بعد احتلال ألمانيا لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. كان اقترح "دي جول" تعديل الدستور بخصوص آلية تعيين رئيس الجمهورية لتدعيم وضعية رئيس الدولة وتعزيز الشرعية الديمقراطية، والذي منح منصب الرئاسة الميزة التي يتمتع بها البرلمان الفرنسي في الإرادة الوطنية والشرعية، وحول النظام إلى نظام شبه رئاسي يحظى فيه الرئيس بصلاحيات واسعة جداً في الدفاع والأمن، والشئون الخارجية، فهو رئيس الدبلوماسية، والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو الذي يعيِّن ويقيل الحكومة ورئيسها، وله الحق بإجراء الاستفتاء، وإعلان حالة الطوارئ.[8]

المنارة للاستشارات
ww

كما كان لتعديلات ديغول في ظل الجمهورية الخامسة الأثر الأكبر في صيرورة السياسة الخارجية الفرنسية، والتي اتبعها خلفاؤه من الرؤساء الذي حكموا فرنسا، فالرئيس الفرنسي يتولى عملية صنع القرارات الخارجية في حين أن وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية دورها يتلخص في تجميع المعلومات القادمة من طرف البعثات الدبلوماسية وإرسال التوجيهات إليها وحق التصدر لاستقبال رؤساء الدول والوفود الدبلوماسية وتمثيل فرنسا بالخارج، فوزارة الشؤون الخارجية تقتصر مهامها في عملية صنع اتخاذ القرارات الخارجية على جمع المعلومات والتخطيط وإرسالها إلى قصر الإليزيه ثم التنفيذ في العديد من القضايا الهامة بناء على رؤية الرئيس، أما رئيس الدولة فله نفوذ خاص في ميدان العلاقات الخارجية الفرنسية فهو يعين السفراء والمندوبين فوق العادة لدى الدول الأجنبية ويعتمد السفراء والمندوبين فوق العادة للدول الأجنبية، ويعين كبار الموظفين المدنيين والعسكريين ويبرم المعاهدات مع الدول الأخرى ويطلع على المفاوضات التي تجري لعقد اتفاق دولي التي تصبح سارية المفعول بعد موافقة رئيس الجمهورية عليها وإعلانها، خصوصاً المعاهدات التي تقر بقانون في البرلمان كالمتعلقة بحقوق السيادة والمتعلقة بأمور هامة[9].*

هذه القوة لمكانة رئيس الجمهورية وهذه الصلاحيات الواسعة النطاق هي التي أدت إلى هيمنة رؤية الرئيس على السياسة الخارجية والدفاعية لفرنسا ويمكن التدليل على ذلك في حالتين على سبيل المثال: الأولى تمثلت في الفترة التي شغل فيها جاك شيراك رئاسة الوزراء في عهد الرئيس ميتران، حيث كانت الصلاحيات الخارجية والدفاعية في يد الرئيس ميتران، والأخرى خلال ولاية الرئيس شيراك حيث تبؤ منصب رئيس الوزراء الاشتراكي ليونيل جوسبان واتضحت قوة الرئيس شيراك من خلال التحذير الذي أطلقه تجاه رئيس وزرائه بعدم التدخل في السياسة الخارجية، بعد الأزمة الشهيرة عقب الاعتداء عليه في جامعة بيرزيت في اليوم الثاني لتصريحه المؤيد لإسرائيل وضد المقاومة اللبنانية وحزب الله.

الجزء الثاني: الملامح الشخصية والحياة المهنية (جاك شيراك، نيكولا ساركوزي)

إن طبيعة السياسة الخارجية لدول تحكمها رؤية النخب القائمة على النظام السياسي والتي تحدد أولويات النظام واتجاهاته في صياغة علاقاته مع الدول المختلفة، خصوصاً الدول العظمى التي تسعى لترسيخ علاقاتها بما يحقق مصالحها ويعزز من حضورها على الساحة الدولية كفاعل رئيسي.

* لمزيد من الاطلاع على صلاحيات الرئيس في النظام السياسي الفرنسي يمكن الرجوع إلى الدستور الفرنسي على الموقع الإلكتروني للمجلس الدستوري للجمهورية الفرنسية:
(http://www.conseil-constitutionnel.fr/conseil-constitutionnel/root/bank_mm/arabe/constitution_arabe.pdf)

المنارة للاستشارات
ww

فالدول تبني إستراتيجيتها السياسية لفترات زمنية محددة تحكمها في ذلك طبيعة التغيرات في الساحة الدولية، والبيئة الجيوسياسية وفقاً لكل إقليم وأهميتها على المستوى الدولي، وطبيعة الدول نفسها ومكانتها على الساحة الدولية وقدرتها على التأثير.

وبالنظر إلى فرنسا كأحد الدول الفاعلة على مستوى الساحة الدولية، والتي تسعى إلى ترسيخ مكانتها وحضورها، متبعة سياسة متوازنة مع الجميع منذ قرابة نصف قرن خصوصاً مع العرب متقربة منهم خصوصاً بعد انسحابها من الجزائر، ودعمها وتأييدها للقضايا العربية خصوصاً للقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، حتى عهد جاك شيراك، إلا أن سركوزي منذ توليه الحكم بدأت تختلف السياسة الخارجية الفرنسية في توجهاتها وميولها. فما هو دور العامل النخبوي المتمثل في رئيس الدولة الفرنسية في تغيير السياسة الخارجية؟

جاك شيراك (الملامح والشخصية)

نشأته

جاك شيراك هو الطفل الوحيد لوابل فرانسوا شيراك المدير التنفيذي المتقاعد لشركة طائرات فرنسية، له أخت واحدة جاكلين، ولد في 29 نوفمبر 1932م في مدينة باريس بفرنسا، تلقى التعليم في باريس من الليسيه كارنو وثانوية لويس لو غراند، حصل على دبلوم في العلوم السياسية عام 1953م من معهد الدراسات السياسية *Ecole Nationale d'Administration* (ENA) بفرنسا، وشهادة في دورة صيفية من جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية، وشهادة في الإدارة من (غراندي) المدرسة الوطنية للإدارة 1959م المختصة في التدريب الإداري للموظف المدني لتقلد الوظائف العليا، وانضم للحزب الشيوعي شيراك الفرنسي، وحصل على العديد من الأوسمة منها وسام جوقة الشرف الفرنسي، والوسام الوطني الفرنسي دو ميريت، ووسام الشجاعة العسكرية، وميدالية الملاحة الجوية، ووسام الاستحقاق في الفنون والآداب والرياضة والزراعة، ووسام النجمة السوداء الفرنسية برتبة فارس، ووسام الصليب من فرسان مالطة، وعلى وسام الصليب سانت أولاف، وجائزة الدولة للاتحاد الروسي.

تدرب شيراك كضابط احتياطي في الجيش الفرنسي في سلاح فرسان المدرعات وحصل على المرتبة الأولى في سنته. كما تطوع للقتال في الحرب الجزائرية، وذلك باستخدام علاقاته الشخصية على الرغم من تحفظات رؤسائه الذين ظنوا أن ميوله شيوعية.[10]

المنارة للاستشارات

ملامحه الشخصية

يتمتع الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك بشخصية مثيرة للجدل فيمكن القول بأنه كتلة من التناقضات التي كانت في حد ذاتها سبباً رئيسياً في نجاحه ووصوله إلى رئاسة فرنسا مرتين متتاليتين، بمحبة الشعب الفرنسي.

تتسم شخصية شيراك بالمجازفة أو المغامرة في الحياة فهو يحب اكتشاف واستكشاف عوالم جديدة، فالحياة رحلة ومغامرة مثيرة فهو صاحب روح مستقلة محبة للحرية يحب نمط الحياة التي توفر فرص للسفر والتنقل والتغيير والتقاء بأشخاص جديدة، اجتماعي بطبعه في علاقته يتمتع بعلاقات حميمة وصداقات متعددة يحب التواصل مع الناس كريم وسخي مع الآخرين، لدى من الصعب أن تحدد أين يركز انتباهه وجهوده، إلى جانب ذلك فهو إنسان دءوب الحركة نشيط في عمله سريع في خطواته، يتمتع بدرجة عالية من الالتزام والانضباط في عمله ولديه مقدرة عالية من التركيز ولديه المقدرة على تحمل القيود والأعباء المفروضة على حياة الكبار، صاحب شخصية قوية ذات قرارات حاسمة وشجاعة[11] ، ويتمتع بدرجة عالية من الحكمة السياسية والهدوء حتى مع أعدائه[12].

إنسان يتصف بالكرم والتفاؤل بشكل كبير طموح بدرجة عالية وأهدافه بعيدة المنال، لديه قدر كبير من الإيمان والثقة بالحياة وليس للفشل طريق إلى روحه، صاحب روح رياضية وذو نظرة وموقف لعوب تجاه الحياة، فلسفي حتى في أخطائه لديه قدرة كبيرة على الشعور بالاتجاهات المستقبلية ورؤية الصورة المستقبلية بوضوح، مثقف ويحب الثقافات الأجنبية والدراسات الفكرية ويسعى إلى توسيع مداركه في فهم العالم وثقافة شعوبه، تلقائي بسيط جداً في التعبير عن نفسه بطريقة مباشرة ومفتوحة جداً، يتمتع بذوق رفيع وعالي، مثالي في علاقاته وصاحب مثل عليا ومبادئ فهو يريد الفوز في الحياة ولكن ليس على حساب الآخرين إنسان محب للسلام والحرية للجميع، عاطفته كبيرة فهو يخضع للتوترات العاطفية، حساس للغاية وخيالي ينجذب إلى المسالك الفنية والإبداعية يتذوق الجمال بذوقه الخاص، يتمتع بسحر في شخصيته تجذب الآخرين إليه تضفي عليه إلى جانب ذوقه القدرة في التأثير على الآخرين، كثيراً ما يشعر بأنه بحاجة للقتال للحصول على ما يريد مما يجعله أحياناً عدواني ومتسرع لا يهدأ وغير صبور ومتهور أحياناً.[13]

حياته المهنية

يعتبر شيراك أحد أبرز السياسيين الشعبيين العريقين في فرنسا، دخل معترك السياسة الوطنية الفرنسية في الخمسينات متأثراً بشارل ديغول، شغل مناصب حكومية عالية وانتخب لمراكز عدة

المنارة للاستشارات
ww

خلال حياته السياسية. جرى تعيينه مرتين كرئيس حكومة عام 1974 إلى 1976 ومن عام 1986 إلى 1988. عام 1962 أصبح جاك شيراك مساعد رئيس الوزراء آنذاك جورج بومبيدو وفي آذار/مارس 1965 بدأت حياته السياسية عندما انتخب كمستشار محلي في سانفريول في مقاطعة كوريز في وسط فرنسا وبعدها انتخب كعضو في البرلمان عن المنطقة نفسها عام 1967 وأصبح فيما بعد وزير دولة في من اجل التوظيف. ومنذ عام 1967 الى عام 1974 شغل جاك شيراك مناصب وزارية كثيرة بما فيها وزير دولة للشؤون الاجتماعية وزير دولة وفي وزارة الشؤون الاقتصادية والمالية وأصبح وزيرا للزراعة ومن ثم وزيراً للداخلية.[14]

خلال الانتخابات الرئاسية لعام 1974 وقع «نداء الـ 43 » من اجل المساعدة على انتخاب فاليري جيسكار ديستان وقام هذا الأخير بتعيين شيراك كرئيس حكومة بعد أن نجح في الانتخابات. كانت سنة 1976 نقطة فاصلة في حياة جاك شيراك السياسية وبعد ان ترك الحكومة أسس التجمع من اجل الجمهورية عام 1976 وربح الانتخابات البلدية في باريس عام 1977 وبقي رئيساً لبلدية لباريس حتى 1995 حين انتخب كرئيس للجمهورية. وفي عام 1986 كلّف رئيس الجمهورية فرنسوا ميتيران السيد شيراك تشكيل الحكومة بعد خسارة الحزب الاشتراكي في الانتخابات البرلمانية. وفي عام 1988 خاض جاك شيراك معركة الانتخابات الرئاسية ضد ميتران وخسرها. وبعد 7 سنوات فاز جاك شيراك على ليونيل جوسبان فانتخب رئيساً بنسبة 52.6% من الأصوات. إن فوز جاك شيراك بولاية ثانية عام 2002 مع اكثرية حزبية كبيرة توجت حياته السياسية فجعلته يترك أثرا عميقا في السياسة الفرنسية. إن احد إصلاحاته السياسية الكبيرة كان تقليص الولاية الرئاسية من سبع إلى خمس سنوات تماشياً مع ولاية البرلمان، بالرغم من تقليص ولايته الثانية. اعتُبر الزعيم الفرنسي كمعارض للغزو الأميركي للعراق عام 2003م، وفي عام 2008 قام بتأسيس مؤسسة شيراك من اجل التنمية المستدامة والحوار الثقافي.[15]

نيكولا ساركوزي (الملامح والشخصية)

- **نشأته**

نيكولا ساركوزي المولود الثاني من ثلاثة أبناء لأب مهاجر مجري وأم فرنسية من أصل يوناني يهودي، ولد في 28 يناير 1955م في باريس فرنسا، والده تخلى عن أسرته عندما كان طفلاً، متزوج وله أربعة أبناء من ثلاثة نساء. أسست والدته الثرية وكالة إعلانية خاصة بها، وكان يعيش مع والدته في قصر والد أمه "جده" الذي كان تأثيره على ساركوزي أكبر من تأثير والده عليه الذي كان يراه نادراً، تخرج ساركوزي من مدرسة مونسور كور دي سانت لويس وهي مدرسة خاصة

المنارة للاستشارات
ww

كاثوليكية بباريس، وقد حصل على البكالوريوس عام 1973م، وعلى درجة الماجستير في القانون الخاص من جامعة نانتير باريس ، وشهادة إجازة لممارسة مهنة المحاماة عام 1981م، إلى جانب دخوله معهد الدراسات السياسية في باريس 1981م ولم يتخرج منه، وقد حصل ساركوزي على العديد من الأوسمة كوسام جوقة الشرف من أعلى درجة، ووسام الشجاعة الحربية، ووسام الملاحة الجوية، ووسام الاستحقاق من أعلى درجة، ووسام الاستحقاق في الزراعة والفنون والآداب والنجمة السوداء والاستحقاق الرياضي مرتبة فارس ووسام الاستحقاق من أعلى درجة لجمعية مالطا.[16]

ملامحه الشخصية

تتسم شخصية الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بمجموعة من السمات والصفات التي أوصلته للرئاسة فرنسا، فساركوزي ذو طابع حيوي يتمتع بقدر كبير من النشاط والإلهام، وله القدرة في التأثير على الاخرين والقدرة على إقناعهم، مندفع ودائم الحركة، برجماتي للغاية في سلوكه وتوجهاته، لا يحمل أيدلوجية ثابتة بل ويبتعد عن الأيدلوجية فهو ليبرالي متحرر لأبعد الحدود، لديه المقدرة على تقديم أفكار جديدة وإبداعية وإيجاد حلول جديدة للمشاكل وقد تبلور ذلك جيداً في سعيه لحل المشكلات الدولية خصوصاً كسعيه للتوسط في المشكلة الروسية الجورجية، لا يتمتع بقدرة أو فن الإنصات للآخرين، يتصف بالبراغماتية في حياته، طموح للوصول إلى أعلى الدرجات والمراتب وذلك ما أوصله إلى قصر الإليزيه، يحب التغيير ويرفض البقاء على الوضع كما هو قائم ويسعى إلى ترك بصماته في كل مكان يدخله أو كل مهمة يتولاها، كما يتسم بالكاريزمية في شخصيته والقدرة على مخاطبة الجماهير والاتصال معهم والتأثير فيهم، كما يتمتع بدرجة عالية من الذكاء الحاد والشديد.[17]

حياته المهنية

بدأت رحلة ساركوزي السياسية وهو في الثالث والعشرين من عمره عندما أصبح عضواً في مجلس مدينة سين نويي سور عام 1977م ومسئولاً عن دائرة الثقافة والتعليم عام 1986م، وأصبح أصغر رئيس بلدية فرنسية لمدينة سين نويي سور في عام 1988م، ومن ثم نائباً في الجمعية الوطنية، وعضو في المجلس الإقليمي لإيل دو فرانس 1983 – 1988م، وقد كان نائب الأمين العام لحزب التجمع من أجل الجمهورية في الفترة 1992 – 1993م والأمين العام للحزب 1998 – 1999م. وبدأت رحلته في المناصب العليا في فرنسا منذ عام 1993م حين أصبح وزير المالية والمتحدث باسم السلطة التنفيذية في مجلس الوزراء لرئيس الوزراء "ادوار بالادور"، ومن ثم وزير الاتصالات والمتحدث باسم الحكومة عام 1994م حتى عام 1995م حيث فقد منصبه كوزير للمالية

المنارة للاستشارات
ww

بعد فوز جاك شيراك برئاسة الجمهورية، وعضو في البرلمان الأوروبي من يوليو إلى سبتمبر 1999م انتهت باستقالته، كما انتخب في عام 1999م في الجمعية الوطنية بفرنسا، وأصبح وزير الداخلية في الفترة الممتدة بين عامي 2002 – 2004م، ووزير المالية والاقتصاد والصناعة من مارس وحتى نوفمبر 2004م وقد قدم استقالته، كما كان وزير الداخلية والتخطيط ما بين عامي 2005 – 2007م وقد قدم استقالته من الوزارة في مارس 2007م وترشح لانتخابات الرئاسة وتم انتخابه رئيساً للجمهورية الفرنسية بعد حصوله على 53.06% من الأصوات في شهر مايو 2007م.[18]

الجزء الثالث: السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا

السياسة الفرنسية تجاه سوريا في عهد جاك شيراك (تقارب وتصادم)

بعد وصول الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك إلى قصر الإليزيه رئيساً للجمهورية عام 1995م، خلفاً للرئيس الاشتراكي فرانسوا ميتران، صاغ خطوطاً عريضة حددت نهج السياسة الخارجية الفرنسية، عرفت بالبروتوكولات العشر التي تناولت تفعيل الردع النووي الفرنسي والذي شكل في حد ذاته رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بخروج باريس من دروب الدبلوماسية الأمريكية، وتفعيل العلاقات الفرنسية مع الدول الفرنكوفونية لاسيما لبنان الذي يحتل وضعية مميزة في المشرق مع إقرار فرنسي بأهمية الدور الذي تلعبه سوريا في لبنان والمنطقة.[19] تلك النقطتان من النقاط العشر شكلت لدى الساسة السوريين رسالة تركت أثراً واضح المعالم، حيث بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين، تلك الحقبة التي بدأت تتبلور في نهج جديد ما بين المد والجزر، ومرت بعدة مراحل.

المرحلة الأولى شكل فيها السلوك السياسي للرئيس الفرنسي جاك شيراك فرصة سياسية لابد من استثمارها لدى الساسة السوريين، تزامن ذلك مع العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 1996م - عناقيد الغضب- الذي شكل الأرضية لتلاقي الطرفين ضد العدوان الإسرائيلي، إلى جانب إعلان شيراك في مجلس النواب اللبناني عام 1996م إبان انعقاد القمة الفرانكفونية في بيروت، أن انسحاب القوات السورية من لبنان مرتبط بالتسوية السلمية، واستقباله بحفاوة في دمشق، فأخذت العلاقات السورية الفرنسية تأخذ منحى جديد، وجدت باريس لها في هذه العلاقات بوابة للدخول في قضايا الشرق الأوسط وفرصة للتفاهم في الشأن اللبناني، كما وجدت دمشق في باريس قوة سياسية لا تقتصر على الحدود الجغرافية للقارة الأوروبية، بل تتعداها إلى المسرح الدولي لحماية سوريا والدفاع عنها في المحافل الدولية، واستمرت العلاقات طوال سنوات لاحقة متسمة بالتقارب والتوافق

المنارة للاستشارات
ww

وقد تجلت في استقبال شيراك بشار الأسد عام 1999م على الرغم من عدم تمتعه بأي صفة سياسية سوى أنه نجل الرئيس، ومن ثم قدومه إلى دمشق معزياً في الرئيس حافظ الأسد.[20]

وقد برزت قوة ومتانة العلاقة إبان هذه المرحلة خلال الدور الذي لعبه شيراك في تبني عملية التوريث للحكم في سوريا على المستوى الدولي.

فلقد استطاع جاك شيراك تمرير عملية التوريث دولياً بشكل سهل جداً، كما أنه حاول المساهمة في ما اعتقده إصلاحاً للنظام السوري، من خلال خبراء في كافة المجالات توافدوا على سورية. جدير بالذكر أن هذا التقارب ما كان ليتم لولا تأثير رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري على الرئيس الفرنسي جاك شيراك،*[21] إن التقارب الذي لعب الحريري دوراً كبيراً في ترسيخه بين شيراك والنظام السوري هدف بالدرجة الأولى من خلاله الحفاظ على لبنان من التدخلات السورية فيه.

وفي 25 يونيو من العام 2001م قصد بشار الأسد قصر الإليزية بعد توليه الرئاسة، وكانت زيارته الثانية والأخيرة في 18 ديسمبر من العام 2002، وتميزت العلاقة بين فرنسا وسوريا من قبل وحتى ذلك الحين بالايجابية.[22]

بدأت المرحلة الثانية في العلاقات السورية الفرنسية إبان عهد جاك شيراك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، والغزو الأمريكي لأفغانستان ومن ثم العراق، واتهام واشنطن لدمشق بدعمها للإرهاب في العراق، وما تبعها من أحداث اغتيال لرئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

دخلت العلاقات في طور جديد اتسم بالسلبية التامة منذ أن بدأت الولايات المتحدة الأمريكية توجه أصابع الاتهام إلى النظام السوري بدعم الإرهاب في العراق في مراحل الغزو الأولى التي انطلقت في 20 مارس 2003م، وبدأت مرحلة تضييق الخناق حول النظام السوري خاصة في لبنان، ومع وقوع حادثة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في 14 فبراير 2005م التي شكلت علامة فاصلة في تاريخ العلاقات السورية الفرنسية، فقد وضع جاك شيراك فرنسا في صف التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية موجهاً الاتهام إلى النظام السوري برئاسة بشار الأسد.[23]

وعلى ذلك يمكن القول بأن ملامح بداية المرحلة الثانية في عهد شيراك تشكلت بفعل أثر صدمة اغتيال الحريري، فبدأت مرحلة الضغوط السياسية على النظام السوري، وعملية حصار سياسي

* لقد كانت العلاقة الشخصية التي ربطت جاك شيراك برفيق الحريري هي التي دفعت جاك شيراك بخطى متسارعة لفتح بوابة العلاقات مع سوريا، وإخراجها من عزلتها الدولية، فالعلاقة الشخصية مع بين شيراك والحريري كانت علاقة أسرية امتدت إلى أن طلبت زوجة رفيق الحريري أن يتقدم خطيب ابنتها لطلب يدها من جاك شيراك رسمياً بصفته بمثابة والدها، إلى جانب ذلك؛ فالرئيس الفرنسي جاك شيراك بعد مغادرته لقصر الإليزيه توجه إلى منزل رفيق الحريري في باريس ليقطن فيه.

المنارة للاستشارات
ww

نسبي للنظام، قادها الرئيس شيراك بالتنسيق مع الرئيس جورج بوش، والتي ترتب عليها قرار مجلس الأمن الدولي 1559 القاضي بخروج الجيش السوري من لبنان.[24]

اختلف المراقبون في أسباب تغير العلاقات بين فرنسا وسوريا، ففيما ذهب البعض إلى تحميل سوريا أسباب هذا التغير نتيجة عدم التزامها بالوعود التي أطلقتها بإعادة انتشار قواتها في لبنان إلى البقاع، وإفشال مؤتمر باريس2، وعدم توقيع بعض الاتفاقيات الاقتصادية مع شركات فرنسية، فضلاً عن تباطؤ مسيرة الإصلاح السياسي في سوريا، ويرجع البعض الآخر، وخصوصاً السوريين تغير العلاقات مع فرنسا إلى شيراك نفسه، وشخصنته العلاقة مع سوريا تحت تأثير رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، ويستندون في ذلك إلى ثلاث نقاط:[25]

1. اجتماع النورماندي بين شيراك وبوش وأزنار الذي سبق القرار 1559.
2. تصريحات بعض السياسيين في الخارجية الفرنسية والتي ليس لها علم بالقرار 1559 الموجه ضد سوريا.
3. ما كشفته صحيفة معاريف الإسرائيلية من أن الرئيس شيراك طلب من إسرائيل إبان عدوانها على لبنان في تموز 2006م اجتياح سوريا وإسقاط النظام السياسي فيها مع دعم فرنسي كامل في مجلس الأمن الدولي.

استمرت هذه المرحلة في العلاقات الفرنسية السورية بالتصادم حتى نهاية ولاية الرئيس الفرنسي جاك شيراك الثانية، والتي بنهايتها طوت ملامح هذه المرحلة وبدأت مرحلة جديدة في عهد الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، اتسمت هذه المرحلة بالصعود في التنسيق والعلاقات إلى أشدها ومن ثم الهبوط إلى التوتر والتصادم، تشابكت فيها العديد من العوامل والتي يمكن تحديدها في العوامل التالية:

1. العلاقة الشخصية والأسرية التي ربطت رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري برئيس الفرنسي السابق جاك شيراك والتي انعكست في العلاقات السورية الفرنسية صعوداً وهبوطاً.
2. التدخلات السورية في لبنان والتي تعتبر ذات بعد استراتيجي لدى الساسة الفرنسيين، الذين يبدون بالغ الاهتمام لاستقرار الأوضاع فيها كاهتمامهم بالأوضاع داخل فرنسا إن جاز التعبير.
3. البيئة الدولية والحرب الأمريكية على العراق في ظل فشل فرنسا في إيقافها والفرصة التي أتيحت لإعادة هيكلة ومكانة فرنسا في المجتمع الدولي الذي أصبحت معالمه تصاغ من جديد.

المنارة للاستشارات
ww

إن تغيّر أولويات السياسة الفرنسية بدأ بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، حيث ذكر الرئيس الفرنسي جاك شيراك في مذكراته بأنه تعهد فور الاغتيال لزوجة رفيق الحريري بأنه لن يترك هذه الجريمة من دون عقاب، حيث كان يعلم الرئيس جاك شيراك بتهديد الأسد لرفيق الحريري بتصفيته جسدياً بسبب اعتراضه على الدستور اللبناني الجديد الذي يسمح ببقاء الرئيس اللبناني (حليف الأسد) إيميل لحود في السلطة، وهو ما كان يعترض عليه الحريري.[26]

لقد ارتبطت حسابات فرنسا في عهد جاك شيراك -المثالي والمبدئي- في علاقتها مع سوريا بالعلاقة الشخصية التي ربطت شيراك برفيق الحريري، فالتقارب مع سوريا كان بتشجيع الحريري والقطيعة والتصادم مع سوريا كان باغتيال الحريري.

السياسة الفرنسية تجاه سوريا في عهد ساركوزي (الانفتاح على سوريا من جديد)

كانت طروحات وتصريحات الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي إبان حملة الانتخابات الرئاسية الفرنسية مايو 2007م مثار جدل في رغبته فرض طابعه الخاص في السياسة الخارجية الفرنسية، وكسر الإرث الماضي أو قطع النهج السابق مبشراً بتغيير في السياسة الخارجية الجديدة،[27] في العديد من الملفات والتي على رأسها الملف السوري، متأثراً بخلافه مع جاك شيراك الذي دعم منافسه في الانتخابات الرئاسية الفرنسية.

فقد أحاط الرئيس الفرنسي ساركوزي نفسه بفريق معاون من أكثر الفرنسيين تعصبا لإسرائيل وللولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، مؤمناً أن ذلك اليوم من عام 1966م الذي أمر فيه الجنرال ديغول بإقفال مواقع ومعسكرات ومراكز حلف شمال الأطلسي في فرنسا، وإخلاء قواعده من أراضيها سيمحوه ساركوزي من تاريخ فرنسا السياسي والحضاري الحديث، ورفع الكثير من الشعارات التي توحي بأنه سيثبت خندق باريس الأمريكي الإسرائيلي، واعتبر أن ما يسمى السياسة العربية لفرنسا خطأ استراتيجي، مما أوحى أولاً أن هناك سياسة عربية لفرنسا، وثانياً أنه سيلغي هذه السياسة العربية ويمارس (القطيعة) معها، فساركوزي البرجماتي والمبهور بفكر ونهج المحافظين الجدد في الولايات المتحدة سار بهذا التوجه الأيديولوجي والسياسي منذ ما قبل وصوله إلى السلطة.[28] فتصريحاته ومواقفه تذهب إلى جعل فرنسا أطلسية على المستويين السياسي والعسكري، وجعل أوروبا شريكة اقتصادية وسياسية وإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية لا منافسة لها، وهذا يتعارض مع سياسة شيراك الذي كان يعمل من أجل أوروبا منافسة للولايات المتحدة الأمريكية لا تابعة لها.[29]

المنارة للاستشارات

ووفق رؤية المصالح لا الأيديولوجية، بدأت العلاقة بين باريس ودمشق تعود تدريجياً لتستقر على قواعد ثابتة، يعرف كل طرف مصلحته ويعترف بمصالح الآخر وخطوطه الحمر ويحترمها، أي أن باريس لم تعد ترى في دمشق عدواً يجب اقتلاعه كرماً لعين أحد، ولا صديقاً نعتمد عليه في تنفيذ سياساتنا ومآربنا، بل شريكاً في شبكة مصالح متبادلة، هذه هي المعادلة التي صاغها ساركوزي في علاقته مع سوريا تقوم على نقاط الالتقاء حول المصالح.[30]

وبناء على فكرة المصالح، جاء دور رجل الأعمال اللبناني الفرنسي الجنسية زياد تقي الدين الذي لعب دوراً بارزاً في إعادة العلاقات الفرنسية السورية، حيث أوفده كلود غيان مستشار الرئيس ساركوزي، الذي مهد لزيارة رسمية إلى دمشق لكلود غيان وجان ليفيت.

وبناءً على هذا الفكر وهذه الرؤية؛ أوفد ساركوزي في 15 يونيو 2008م الأمين العام للرئاسة الفرنسية كلود غيان إلى دمشق في خطوة انفتاح وحوار تجاه سوريا، والتي تعتبر انقلاباً في السياسة الفرنسية، وعلى الرغم من الطلب الأمريكي لفرنسا بالتريث في تطبيع العلاقات مع سوريا بعد الاجتماع الذي جمع الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بالرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي.[31]

لم يتوقف الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي عند مستشاره بل وجهة دعوة رسمية للرئيس السوري بشار الأسد لزيارة فرنسا وحضور العيد الوطني الفرنسي في 14 تموز 2008م، وهي الدعوة الوحيدة التي تلقتها سوريا منذ اغتيال الحريري والقمة الأولى التي تجمع رئيسا البلدين منذ ست سنوات، والزيارة الثانية للأسد بعد زيارته الأولى عام 2001م.[32]

كما احتضنت دمشق قمتين أثرت في العلاقات السورية الفرنسية وعلى الوضع السياسي الدولي لسورية، تمثلت القمة الأولى في زيارة نيكولا ساركوزي لدمشق في 3 أيلول 2008م، أما الثانية فهي القمة الرباعية السورية القطرية التركية الفرنسية، حيث جمعت الرئيس بشار الأسد مع الرئيس ساركوزي وأمير قطر الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ورئيس وزراء تركيا أردوغان في 4 أيلول 2008م، إلى جانب القمتين فقد سهل ساركوزي في ظل رئاسة فرنسا لمجلس الاتحاد الأوروبي توقيع اتفاقية الشراكة السورية الأوروبية بالأحرف الأولى في 14 ديسمبر 2008م، والتي تتضمن تعاوناً اقتصادياً وثقافياً وحواراً سياسياً، وبناء منطقة تجارة حرة بين الطرفين، وهي الاتفاقية التي شكلت انفراجاً للعزلة السورية عن المجتمع الدولي والتي تمت بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري.[33]

المنارة للاستشارات
ww

هذا الانفتاح والدعوة التي تلقاها الرئيس السوري بشار الأسد طرحت جدلاً واسعاً حول حقيقة وأسباب ودوافع الانفتاح الفرنسي على دمشق، فقد برر بعض المحللين السياسيين أن هذا التحول يعود سببه الرئيسي إلى الاتفاق الفرنسي السوري حول الأزمة اللبنانية، والاستجابة السورية لفرنسا لحل الأزمة وتنازلها وقبولها للحل السياسي الذي قدمته فرنسا، بينما أعتقد آخرون أن الموضوع يتجاوز لبنان بكثير لدى الرئيس نيكولا ساركوزي، فالموضوع اللبناني هو نوع من المراعاة لحلفائه الأميركيين وبعض العرب أكثر منه بوابة عبور إلى سوريا، وإنما يعود بالدرجة الأولى إلى مشروع الاتحاد المتوسطي الذي تحول فيما بعد إلى الاتحاد من أجل المتوسط، الذي كان يشكل لساركوزي منذ قبل انتخابه هاجساً حقيقياً، لذلك نجد بأن الرئيس الفرنسي يتقدم بهذا المشروع وهو يتجاوز كل العقبات التي تمنعه من الوصول أو التواصل مع الآخرين على أمل إنجاح فكرته، فبرجماتية ساركوزي جعلته يقفز على حدود الأيديولوجية من أجل المصالح الاقتصادية والسياسية الفرنسية بالدرجة الأولى.[34]

والبعض يشير إلى أن خيار ساركوزي بالانفتاح على سوريا كان بناء على توصية من مستشاره كلود غيان، الوثيق الصلة بالسوريين، والذي يرتبط بعلاقة مميزة مع صهر الرئيس السوري ومدير المخابرات السورية اللواء أصف شوكت، والذي يرى بأن مواصلة سياسة عزل سوريا لا تؤدي إلا إلى المزيد من الراديكالية في مواقفها، والمزيد من ارتباطها وقربها من ايران.[35] وأن مصالح فرنسا هي بالانفتاح على سوريا.

إن نهج ساركوزي وسياسته تجاه سوريا أعادت سوريا إلى الساحة الدولية والمجتمع الدولي من جديد[36] ، ولا يكمن السبب الرئيسي في هذا التحول والانفتاح في العلاقة مع دمشق في القناعة الراسخة لساركوزي بجدوى الانفتاح، بقدر ما يمكن تفسيره في الرغبة الجامحة لدى ساركوزي في إنجاز قطيعة مع آخر الديغوليين سلفه الرئيس جاك شيراك.[37]

وبغض النظر عن الهدف أو السبب الرئيسي في محاولة الانفتاح إلا أنه يمكن القول أن هذه التغيرات هي تغيرات نخبوية بتغير الرئيس الفرنسي والمستشارين السياسيين للإليزيه، أكثر من كونها تغير في الإستراتيجية الفرنسية في سياستها الخارجية. حيث انحاز ساركوزي البرجماتي لرأي كلود غيان لمصلحة فرنسا بالانفتاح على سوريا، وهو الرأي الذي كان يعارضه وزير خارجيته برنار كوشنير، الذي حاول أن يسير على خطى شيراك في السياسة مع سوريا.[38]

إلا أن العلاقات الفرنسية السورية عادت إلى القطيعة مرة أخرى، في ظل انحياز ساركوزي إلى المحور المعادي لنظام بشار الأسد في سوريا كما كانت سياسته ضد القذافي في ليبيا، بعد موجة

المنارة للاستشارات
ww

الثورات العربية التي اجتاحت المنطقة، فقد أدانت فرنسا بشكل مستمر القمع المستخدم ضد المتظاهرين وعمليات القتل والتهجير، مما حذا بفرنسا السعي مع لندن لانتزاع قرار من مجلس الأمن يدين القمع الوحشي للمدنيين في سوريا.[39]

اتسمت سياسة الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي تجاه سوريا بالبرجماتية ومدى استفادته من هذه العلاقة، حيث اتهم بعد انتهاء ولايته بأن موقفه ضد ليبيا وضد الأسد كانت بناءً على مصالح شخصية ارتبطت بتمويل حملته الانتخابية الرئاسية التي هزم فيها أمام الرئيس الاشتراكي الحالي فرانسو هولاند في مايو 2012م.[40]

الخلاصة

إن دراسة السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا إبان فترتي حكم جاك شيراك ونيكولا ساركوزي قد ظهر فيهما وبشكل واضح تأثير مكانة الرئيس وفعاليته في صياغة السياسة الخارجية الفرنسية، وبالتالي تأثر السياسة الخارجية بالسمات الشخصية للرئيس، وفقاً لنظرته وأيدلوجيته وقناعاته الشخصية وتوجهاته الفكرية، فوفقاً للدستور الفرنسي وللصلاحيات المتاحة للرئيس فإن القائد السياسي أو رئيس الجمهورية يؤثر في توجهات السياسة الخارجية الفرنسية بشكل كبير وواضح.

وبالتالي فإن المتغير القيادي والنزعة الشخصية للرئيس في النظام السياسي الفرنسي تلعب دوراً كبيراً في صياغة السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الدول، وهذا ما أثبتته الدراسة من اختلاف سياسات الرئيسين بالرغم من أن كلاهما ينتمي لليمين الفرنسي، فالعامل الشخصي والنفسي للرئيس الفرنسي كان له بالغ الأثر والدور في توجيه السياسة الخارجية الفرنسية تجاه سوريا.

وتأسيساً على ما سبق ذكره فإن هذه النتيجة تشير إلى خطأ القول بأن تأثير العامل القيادي يلعب دوراً في الدول النامية أو دول العالم الثالث فقط، كما درجت على ذلك الأدبيات السياسية الغربية، فوفقاً للحالة الفرنسية فإن ذلك يثبت بأن تأثير العامل القيادي يلعب دوراً كبيراً في توجيه السياسة وفقاً لطبيعة النظام السياسي وما تتيحه من صلاحيات للرئيس، بغض النظر عن كون النظام ديمقراطي أو غير ديمقراطي.

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش

(1) جلال عبد الله معوض: علاقة القيادة بالظاهرة الإنمائية: دراسة في المنطقة العربية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، 1985م، ص 9-10.

(2) عدلية الطاهر: أهمية العوامل الشخصية في السياسة الخارجية الجزائرية 1999-2004، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005م, ص11-15.

(3) محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1998م. ص 377- 382.

(4) جلال عبدالله معوض: القيادة السياسية كأحد مداخل تحليل النظم السياسية، بحوث سياسية، 31 مارس 2010م.
(http://bohothe.blogspot.com/2010/03/blog-post_3886.html, 28.03.2013)

(5) محمد السيد سليم: مرجع سابق، ص 397-425.

(6) مريم مولاهم: السياسة المتوسطية الفرنسية "التطور – الأبعاد - الاستراتيجيات"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج خضر باتنة، الجزائر، 2010م. ص37.

(7) جابر حبيب جبر: إشكالية تنازع السلطة في العراق: رئيس وزراء منتخب بشكل مباشر، جريدة الشرق الأوسط، 29 أبريل 2007م.

(8) يوسف العاصي الطويل: النظام السياسي الفرنسي من الثورة إلى الجمهورية الخامسة (1789-2007)، 31 مايو 2008م.
(http://yaltawil.blogspot.com/2008/05/blog-post.html، 14.11.2012)

(9) مريم مولاهم: مرجع سابق، ص38-39.

(10) John Dredge: History " Race relations in France in the 1980s: exploring causation with students as a means to developing understanding of the central issues of the case study", Cultural and Environmental Education,CO Wexford, Professional, Development Service for Teachers (PDST), County Wexford Education Centre, NOV 2010, p12.

(11) Elaine Ganley: Sarkozys start in franch Echose Chirac, The Washigton post, May 12. 2007.

(12) Bruce Crumley: Chirac: An Uphill Battle to Conviction on Corruption، time world newspaper، paris، Friday، 12 Nov 2010

المنارة للاستشارات
ww

(13) Elaine Ganley: Ibid.

(14) سفارة فرنسا: السيد جاك شيراك السيرة الذاتية، موقع سفارة فرنسا في جمهورية مصر العربية، 7 مارس 2010م.
(http://ambafrance-eg.org/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF، 14.09.2012)

(15) Les Echos: Palgrave Macmillan Fall 2012, Manchester University Press, Nov 2012. P25.

(16) Bbc: Profile Nicolas Sarkozy، press، 23 april 2012.

(17) Delphine Strauss & John Thom hill, Adoration & fear for Sarkozy the Steamroller, Financial Times, 13 April 2007.

(18) Henry Samuel: Carla Bruni – Sarkozy sings of her 30 lovers and why Nicolas is like Class A drugs, The telegraph, 11 June 2008.

(19) حسين عبدالعزيز: هل ستتغير العلاقة السورية الفرنسية، جريدة الأخبار، العدد 248، 11 يونيو 2007م.

(20) المرجع سابق.

(21) غسان المفلح: العلاقات الفرنسية السورية، جريدة إيلاف الإلكترونية، 2 فبراير 2010م.

(22) عصام زيدان: الانفتاح الفرنسي على سوريا الدوافع والأسباب، مفكرة الإسلام الإخبارية 14 يوليو 2008م.
(http://www.islammemo.cc/Tkarer/Tkareer/2008/07/14/66787.html، 03.10.2012)

(23) المرجع السابق.

(24) غسان المفلح: المرجع السابق.

(25) حسين عبدالعزيز: مرجع سابق.

(26) جريدة الصباح: شيراك يكتب مذكرات الزمن الرئاسي، جريدة الصباح المغربية، 07 يوليو 2011م.
(http://www.assabah.press.ma/index.php?option=com_content&view=article&id=12170:2011-07-07-09-43-29&catid=121:2011-02-11-17-23-44&Itemid=805, 01.06.2013)

المنارة للاستشارات
ww

(27) Uila Holma: Sarkozysm: New European - and Foreign Policy into Old French Bottles، UACES: Exchanging Ideas on Europe، Angers 3 – 5 September 2009. P3.

(28) عيسى الأيوبي: ديغول وساركوزي في العلاقات الفرنسية السورية، فولتيرنت، 7 يوليو 2008م. (http://www.voltairenet.org/article157645.html، 23.10.2012)

(29) عبد شاطر عبدالرحمن، جاسم محمد طه: ساركوزي والسياسة الخارجية الفرنسية الجديدة، مجلة أوراق سياسية، جامعة الموصل، العدد الثاني عشر، 2007م. ص2.

(30) عيسى الأيوبي: مرجع سابق.

(31) توفيق المديني: العلاقات الفرنسية السورية أمام ساعة الحقيقة، صحيفة الخليج، 22 يونيو 2008م..

(32) عصام زيدان: الانفتاح الفرنسي على سوريا الدوافع والأسباب، مفكرة الإسلام الإخبارية 14 يوليو 2008م. (http://www.islammemo.cc/Tkarer/Tkareer/2008/07/14/66787.html، 03.10.2012)

(33) جريدة السفير: مصادر غربية ترجح توقيع اتفاق الشراكة السورية الأوروبية تموز المقبل، جريدة السفير اللبانينة، الجمعة 5 يونيو 2009م.

(34) خديجة بن قنن: مستقبل العلاقات الفرنسية السورية، لقاء مباشر على قناة الجزيرة مع ماثيو غويدر كاتب ومحلل سياسي، ومروان قبلان من مركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة دمشق، 12 يوليو 2008م.

(35) حازم فودة: العلاقات الفرنسية السورية إلى أين، جريدة الأهرام، 3 يونيو 2010م.

(36) TSILLA HERSHCO: Sarkozy's Policy in the Middle- East: A Break with the Past? Insight turkey, vol 11, no 2, 2009. p82.

(37) علي حمادة: النظام السوري الفرنسي، جريدة النهار اللبنانية، الثلاثاء 17 يونيو 2008م.

(38) نضال حمادة: عودة كلود غيان صديق سورية إلى المواجهة الإعلامية في فرنسا بعد أسابيع من الغياب، قناة المنار، 06 مايو 2011م. (http://www.almanar.com.lb/adetails.php?fromval=1&cid=51&frid=51&eid=44893, 28.05.2013)

(39) فرانس 24: فصول من قصة العلاقات الصعبة بين باريس ودمشق، شبكة فرانس 24 الإخبارية، 12 يوليو 2011م. (http://www.france24.com/ar/20110712-france-syria-bashar-assad-sarkozy-diplomacy-hariri-chirac، 23.10.2012)

(40) نصر المجالي: زياد تقي الدين، تعهد بفضح علاقة ساركوزي بقطر، صحيفة إيلاف، 1 يونيو 2013م. (www.elaph.com/web/news/2013/6/815723.html?entry=france, 25.05.2013)

المنارة للاستشارات